

البوكتيوب يُعيد رسم خارطة الثقافة التقليدية

مرشدون شباب يثيرون قلق الناشرين والنقاد.. ومكاسب عامة لسوق الكتاب



مصطفى عبيد
كاتب مصري

القاهرة - غيّرت عواصف التكنولوجيا الحديثة هندسة المجتمع الثقافي. كل تطور في الوسائط والاتصالات صاحبه تغيير في الكتابة، وانعكس بدوره على درجة تلقي الجمهور لمختلف الكتابات، لتبديل أنماط وسمات حاكمة لسوق الكتاب، مثلت على مدى عقود طويلة ماضية قواعد صارمة يصعب الفكك منها، سواء للكاتب أو القارئ أو الناقد. كان لميلاد ظاهرة البوكتيوب عام 2009 أثاره الإيجابية على الكتاب في العالم، إذ شجع الملايين على القراءة بعمق، وإبداء الآراء في ما يقرؤونه، والتصريح بالاتفاق والاختلاف مع الكاتب، وتكشف تصورات الجمهور لما يفصلونه من طرق وأساليب وتقنيات فنية في الأعمال الإبداعية المتنوعة. كما مثلت الظاهرة مقياساً جديداً لمدى نجاح كتب معينة، بعيداً عن مغالطات بعض دور النشر العاديّة.

نجوم الثقافة الجدد

البوكتيوب يمكن تعريفه بأنه، بث محتوى مصور على تطبيق الـ"يوتيوب"، يتضمن آراء وتحليلات لكتب وروايات ما، يتابعها الجمهور عبر هواتفهم ومبيوتراتهم الشخصية من أي مكان، وفي أي وقت.

ضخ دماء في الثقافة

حققت الظاهرة نجاحاً لافتاً في دول العالم، فلا شك أنها ساهمت عربياً في تجديد دماء الوسط الثقافي، وجذب أجيال جديدة متعطشة للقراءة، لكنها تبحت عن مرشد لتوجيهها، في ظل سوق كتب مزدهج يصعب على القارئ المبتدئ التمييز فيه بين الصالح والطالح.

نسبة عدد القراء إلى

مجموع المجتمعات العربية منخفضة بشكل محزن، و(البوكتيوب) ينفض على مخاطبة جمهور منشغل بعالم القراءة والكتب

ساعدت الظاهرة التي انتشرت في دول عربية كثيرة على الترويج لكثير من كتابات الشباب، وتأسيس مدرسة نقد شعبية للادب توازي بعض صفحات الثقافة في كبرى الصحف، وهي مدرسة انطباعية وغير علمية، لكنها تمثل بشكل ما انطباعات قراء لا يمكن تجاهلهم من قبل المؤلفين.

تنتوع موائد البوكتيوب بين قراءات لكتب معينة، وإرشاد وتوضيح لموضوعات عامة مثل أدب الرعب والأدب الصوفي وكتابات النساء، فضلاً عن توجيه إرشادي ونصائح من أمثلة كيف تختار كتاباً منسوقاً؟ أو ماذا تقرأ في الفلسفة؟ أو دليلك لمعرض الكتاب.

تطلق قنوات البوكتيوب في بعض الأحيان مبادرات لتحدي القراءة بهدف التشجيع على قراءة عدد معين من الكتب خلال فترة زمنية معينة، ما يساعد على نمو فكرة القراءة.

جهد عادل، طالبة بكلية الطب، تقطن في القاهرة، تهوى القراءة وتعتبرها أجمل هواية تؤثر في شخصية الإنسان وترتقي بها، قالت لـ"العرب" إن سوق الكتب كبير، ومزدهج، ويحتاج أدلة يثق فيها القراء الشباب للإشارة إلى الأعمال الجيدة، لأن أغلفة الكثير من الكتب وعناوينها قد تبدو خادعة.

ولفتت إلى أن متابعة قنوات الكتب (البوكتيوب) تفتح المجال للتعرف على جديد النشر، وإن كان الكتاب يستحق القراءة أم لا، لأن هناك أسماء لامعة تقدم أعمالاً ضعيفة اعتماداً على شهرتها، وهي تصور أن كل ما تصدره سيحقق النجاح، مثلما حدث مع الأعمال السابقة. قبل سنوات، كان الشباب الصغار يعتمدون على موقع "غود ريدز" الإنكليزي لقراءة آراء قراء ما في بعض الأعمال لتحديد ما كانت تلك الأعمال تستحق القراءة أم لا.

وفطنت كبرى دور النشر للأمر، وقامت بعضها بتدشين المئات من الحسابات الوهمية على الشبكة للإشادة بكتب بعينها كنوع من دعمها أو الترويج لها.

التطور في البوكتيوب يتجاوز ذلك، لأن كل بوكتيوبير (قارئ كتب) معروف لجمهوره، ويظهر بشخصه ويتحدث مباشرة إلى الجمهور ولا يمكن أن تتحالي دور النشر أو كبار الكتاب على مجتمع البوكتيوب بحسابات كاذبة. يمكن القول، إن سوء الأوضاع الاقتصادية في بعض الدول العربية ساهم في نمو الظاهرة، إذ ارتفع سعر الكتاب مقارنة بدخل القارئ، ما جعله حريصاً على عدم التضحية بأمواله لشراء كتاب دون الاستماع إلى آراء قراء سابقين له، وهذا ما يفسر انتشار ظاهرة البوكتيوب بشكل أكبر في كل من مصر والمغرب.

ندى الشبراوي، واحدة من اليوتوبير المشاهير في مصر، تُدير قناة "دودة كتب"، بدأت قناتها على يوتيوب منذ حوالي عامين، ولديها الآن أكثر من سبعين ألف مشترك.

قالت الشبراوي لـ"العرب"، إن الدافع للقناة قبل كل شيء هو زيادة معارف الناس بالكتب، وصناعة علاقة تواصل دائم بينهم وبين الكتب.

وأشارت إلى أن هناك جمهوراً كبيراً في المجتمع، خاصة بين شباب متعطش للقراءة، ولكنه ينتظر تشجيعاً ومساعدة، ودلت على نجاح الظاهرة بالارتفاع الكبير في أعداد متابعي قنوات البوكتيوب في العالم، والقنات الكثر من كبار الكتاب ودور النشر والمجتمع الثقافي للظاهرة.

إذا كان البعض يحاول تشويه العاملين في المجال بالقول، إنهم يحققون أرباحاً دون مجهود حقيقي سوى الكلام، فإن أصحاب القنوات أنفسهم يرون بأن نجاح البوكتيوبير يتطلب نكاه وخبرة ولباقة وحضوراً وخفة ظل، قد تغيب عن بعض المثقفين أو المهتمين بالكتب.

كما أن نمو الجمهور مقترن باقتناع حقيقي لدى شباب المثقفين بموضوعة البوكتيوبير، بمعنى أنه غير موجه لانتقاد عمل ما، أو الإشادة بأخر وإنما هو عرض صادق لكتاب مهم أو مفيد، قد لا يعرف البوكتيوبير مؤلفه على المستوى الشخصي.

أكدت ندى الشبراوي، أنها تتلقى الكتب من دور النشر، مثلها مثل الصحافيين المعنيين بالثقافة، لكنها لا تعمل في أي من تلك الدور، ولا تتقاضى أموالاً منها، ولا تعتقد أن هناك بوكتيوبيرا معروفاً يتقاضى رواتب من دار بعينها.

ورأت أن مثل هذا الأمر يمثل خط النهاية لمصادقية البوكتيوبير، لأن الجمهور واع ويختلف عن أي جمهور لقنوات اليوتيوب الأخرى، وهو أكثر فهماً ومعرفة من أن يخضع لدعاية أو يتعرض لخداع.

اهتمام المبدعين

جذب البوكتيوب أنظار بعض الروائيين والكتاب واهتموا بالظاهرة، لأنها ساهمت في اتساع جماهيرهم من القراء.

أوضح الروائي المصري، أشرف العشماوي، لـ"العرب"، أن الأمر لم يعد ظاهرة وإنما صار واقعا مفيداً للغاية، حيث يعرف من خلاله القارئ على ملامح الرواية، موضوعها، فكرتها الأساسية، كيفية البناء، الشخصيات الرئيسية، مع ملخص غير كاشف عن أحداث الرواية.

وفي تصوره، فإن البوكتيوب أشبه بـ"الإعلان التثقيفي المهم"، والذي سيكون بمثابة دعوة للقراء إلى قراءة عمل ما، قد لا يكون معروفاً.

ويتابع العشماوي، وهناك نماذج يراها جيدة وموضوعية، مثل "الروائي" أو "دودة كتب"، ويعتقد أن هذه القنوات ساهمت في زيادة مبيعات الكتاب العربي في السنوات الأخيرة. ولا حظ العشماوي أن معظم البوكتيوبير، يركزون في حلقاتهم على الروايات والأعمال الأدبية، ويتمنى أن تتسع مجالات القراءة خلال الفترة القادمة لتشمل مختلف الكتب النوعية، مثل كتب التاريخ والشعر والكتابات الفكرية. وهناك تحفظات على هذه الظاهرة، منها أن البوكتيوبير في كثير من الأحيان يقدم انطباعاته الشخصية، سلبية أو إيجابية، وقد ترتبط بمحبته أو عدم محبته.

وقال العشماوي، إن المبالغة في الإعجاب أو الذم من جانب اليوتوبير في بعض الأحيان يؤدي إلى نتيجة عكسية دائماً.

وقد لا يعجب الوجه الآخر للبوكتيوب بعض الأدباء والروائيين، وهناك من لم يسمع به فعلاً أو يعرف نجومه، مثلما ذكر الروائي المصري إبراهيم عبدالمجيد لـ"العرب" بأنه "لم يتابع أياً من البوكتيوبيرز ولم يسمع بهم".

في تصور الروائي السوداني حامد الناظر فإن القراءات المتداوله لبعض الروايات المنشورة سطحية وخاطفة، ولا تقدم طرحاً عميقاً يرتقي لمستوى النقد.

ويلعب نوق القارئ دوراً كبيراً في ذلك، بمعنى أن هناك من يحب روايات

ويتابع العشماوي، إن المبالغة في الإعجاب أو الذم من جانب اليوتوبير في بعض الأحيان يؤدي إلى نتيجة عكسية دائماً.

وقد لا يعجب الوجه الآخر للبوكتيوب بعض الأدباء والروائيين، وهناك من لم يسمع به فعلاً أو يعرف نجومه، مثلما ذكر الروائي المصري إبراهيم عبدالمجيد لـ"العرب" بأنه "لم يتابع أياً من البوكتيوبيرز ولم يسمع بهم".

في تصور الروائي السوداني حامد الناظر فإن القراءات المتداوله لبعض الروايات المنشورة سطحية وخاطفة، ولا تقدم طرحاً عميقاً يرتقي لمستوى النقد.

ويلعب نوق القارئ دوراً كبيراً في ذلك، بمعنى أن هناك من يحب روايات

ويتابع العشماوي، إن المبالغة في الإعجاب أو الذم من جانب اليوتوبير في بعض الأحيان يؤدي إلى نتيجة عكسية دائماً.

وقد لا يعجب الوجه الآخر للبوكتيوب بعض الأدباء والروائيين، وهناك من لم يسمع به فعلاً أو يعرف نجومه، مثلما ذكر الروائي المصري إبراهيم عبدالمجيد لـ"العرب" بأنه "لم يتابع أياً من البوكتيوبيرز ولم يسمع بهم".

في تصور الروائي السوداني حامد الناظر فإن القراءات المتداوله لبعض الروايات المنشورة سطحية وخاطفة، ولا تقدم طرحاً عميقاً يرتقي لمستوى النقد.

ويلعب نوق القارئ دوراً كبيراً في ذلك، بمعنى أن هناك من يحب روايات

السيرة، وهناك من يرفضها، ويصبح الأمر مرتبطاً بتذوق البوكتيوبير للون معين من الأدب.

أشار الناظر، الذي وصلت رواياته من "نبوءة السقا" و"الطاووس الأسود" إلى القائمة الطويلة للبوكر العربية عامي 2016 و2018، لـ"العرب"، إنه اطلع على بعض "ريفيويهاات الفيديو الخاصة بكثير من الروايات الحديثة ولم تعجبه". وتابع قائلاً "الخطر في الأمر أن بعض مقدمي الفيديوهات يستهدفون الربح بفيديوهاتهم فيلجؤون إلى الإثارة أكثر من القراءة الموضوعية".

وثمة أدباء يقرؤون الظاهرة قراءة مغايرة تدخل في فكرة تسليع الأدب أو خضوعه لثورة النمط الاستهلاكي كأحد روافد العولمة.

تقليد أم محاكاة

أوضح الروائي ناصر عراق، لـ"العرب"، أن الظاهرة توضح بجلاء طبيعة العلاقة بين الغرب والعالم العربي، وهي علاقة قائمة على التقليد والمحاكاة، فهم يبتكرون ويخترعون، ونحن نقلد ونحاكي.

وأشار إلى أن الظاهرة التي انطلقت عام 2009 في أميركا وأوروبا، لم تصل عالمنا العربي إلا بعد ذلك بسنوات، حيث بات من الطبيعي أن يحاكي العرب ما يجري في الغرب، في مجال استهلاك التكنولوجيا وليس اختراعها، وهو أمر مفهوم بسبب الأوضاع المتخلفة في المجالات كافة، ومع ذلك فإنه يصح القول إننا "لم نحقق النجاحات نفسها التي وصل إليها البوكتيوب في الغرب".

وفسر عراق ذلك بأن، نسبة عدد القراء إلى مجمل المجتمعات العربية منخفضة بشكل محزن، و(البوكتيوب) ينفض على مخاطبة جمهور منشغل بعالم القراءة والكتب، وهنا فإن أحد مقومات نجاحه غير متاحة لدينا.

وأضاف "الأمل متعقد رغم كل شيء على أن يسهم البوكتيوب في استفزاز مشاعر الناس وجزمهم نحو عالم القراءة، خاصة إذا كان مقدم الفيديو يمتلك مهارات مميزة في عرض الكتب ونقدتها تدفع المشاهد إلى التسعي إلى اقتنائها والتعرف إليها بشكل كامل سواء في نسخ ورقية أو إلكترونية". وفي تصور عراق، فإن البوكتيوب العربي في حاجة إلى تطوير أكثر حتى يستطيع أن يحقق

الهدف المنشود، ويصبح قادراً على جلب المزيد من المشاهدين، وبالتالي القراء. ولا تزال فاعلية الظاهرة محل شك من بعض خبراء التكنولوجيا الحديثة، الذين يرون أن تفاعل المجتمعات العربية مع قضايا الثقافة والكتب أقل من الحد الأدنى للتأثير في المجتمع.

وقالت دعاء سليط، خبيرة السوشيال ميديا، لـ"العرب"، إن الظاهرة ليست مؤثرة بشكل كبير كما يعتقد البعض، وهذا يرتبط بالمجتمع نفسه الذي ينفر من الثقافة المقروءة. وأوضحت أن أكبر قناة بوكتيوب في العالم العربي لا يصل عدد المشتركين فيها إلى مليون مشترك، بينما هناك قنوات لطلهي والمواقف المضحكة يتابعها الملايين كل يوم.

وأضاف عبد الله، "إن الجماعة الثقافية مثل الكتلة الحرجة تتأثر بكل جديد وحديث في العالم، لكنها لا تتخلل عن قيمها ومبادئها، لذا يسقط الكثير من المشاهير ويتوارون نتيجة انصراف الجمهور الذي لم يتابعهم عن إيمان حقيقي بتفوقهم الأدبي، وإنما نتيجة عارض قد يكون وسيطاً جديداً، مثل السوشيال ميديا وروافدها من غود ريدز، أو بوكتيوب أو غيرها".

أما على مستوى السوق، فهناك اهتمام واضح بالظاهرة لكنه يقتصر على فكرة التسويق والدعوة الإيجابية. وأكد شريف الليثي، مدير دار "تويا للنشر"، أن معظم ناشري الروايات يرسلون إصداراتهم الجديدة لمشاهير البوكتيوب، لكن الأمر يخضع في بعض الأحيان للعلاقات الشخصية. وتوقع في تصريح لـ"العرب"، أن تقوم بعض دور النشر بإنشاء قنوات بوكتيوب خاصة بها، بهدف الدعاية لأعمالها، لكن الخطير استخدام تلك القنوات في الإساءة لإصدارات دور نشر منافسة.



البوكتيوب بوابة لولادة نجوم جدد في دنيا الثقافة



شريف الليثي:

البوكتيوب ظاهرة تعكس طبيعة علاقة الشباب بالثقافة



دعاء سليط:

الظاهرة ليست مؤثرة بشكل كبير كما يعتقد البعض



ناصر عراق:

المعادلة البانسة هي أن الغرب يبتكر ونحن نقلد ونحاكي



ندى الشبراوي:

جمهور البوكتيوب أكثر وعياً من أن يخدع